

تفسير البحر المحيط

@ 188 استمر ، وبعث ا ميكائيل عليه السلام يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم . وقرأ الجمهور : أنه بفتح الهمزة على حذف الباء . وقرأ الكسائي وحمزة : بكسرهما على الاستئناف ابتداء كلام ، أو بدلاً من آمنت ، أو على إضمار القول أي : قائلاً أنه . ولما حلقه من الدهش ما لحقه كرر المعنى بثلاث عبارات ، إما على سبيل التلغيم إذ ذلك مقام تحار فيه القلوب ، أو حرصاً على القبول ولم يقبل ا منه إذ فاته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف ، والتوبة بعد المعاينة تنفع . ألا ترى إلى قوله تعالى : { فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ° إِيْمَانُهُمْ ° لَمَّا رَأَوْا ° بِأَسَدًا * سُدَّتْ * اللّٰهُ السّٰتِي قَدَّ خَلَّتْ ° فِي عِبَادِهِ } وتقدم الخلاف في قراءة آلآن في قوله : { وَقَدَّ كُنْتُمْ بِهِ } والمعنى : أتؤمن الساعة في حال الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك ؟ قيل : قال ذلك حين أجمه الغرق . وقيل : بعد أن غرق في نفسه . قال الزمخشري : والذي يحكى أنه حين قال : آمنت ، أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه ، فللغضب في ا تعالى على حال الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه . وأما ما يضم إليه من قولهم خشيت أن تدركه رحمة ا تعالى فمن زيادات الباهتين ا تعالى وملائكته ، وفيه جهالتان : إحداهما : أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس ، فحال البحر لا يمنعه . والآخر : أن من كره الإيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر ، لأن الرضا بالكفر كفر . والظاهر أن قوله : آلآن إلى آخره من كلام ا له على لسان ملك . فقيل : هو جبريل . وقيل : ميكائيل . وقيل : غيرهما ، لخطابه فاليوم ننجيك . وقيل : من قول فرعون في نفسه وإفساده ولضلالة الناس ، ودعواه الربوبية . { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ° وَصَدُّوا ° عَن سَبِيلِ اللّٰهِ * زِدْ نَاهُمْ ° عَذَابًا ° فَوَقَّ الْعَذَابِ رِيْمًا كَانُوا ° يُفْسِدُونَ } فاليوم ننجيك الظاهر أنه خبر . وقيل : هو استفهام فيه تهديد أي : أفاليوم ننجيك ؟ فهلا كان الإيمان قبل الإشراف على الهلاك ، وهذا بعيد لحذف همزة الاستفهام ولقوله : لتكون لمن خلفك لآية ، لأن التعليل لا يناسب هنا الاستفهام . قال ابن عباس : ننجيك نلقيك بنجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ، ببدنك بدرعك ، وكان من لؤلؤ منظوم لا مثال له . وقيل : من ذهب . وقيل : من حديد وفيها سلاسل من ذهب . والبدن بدن الإنسان ، والبدن الدرع القصيرة . قال : % (ترى الأبدان فيها مسبغات % . على الأبطال والكلب الحصينا . %) .

يعني : الدروع . وقال عمرو بن معدي كرب : % (أعاذل شكتي بدني وسيفي % .
وكل مقلص سلس القياد .
%) .

وكانت له درع من ذهب يعرف بها ، وقيل : نلقيك ببدنك عريانا^١ ليس عليك ثياب ولا سلاح ،
وذلك أبلغ في إهانته . وقيل : نخرجك صحيحا^٢ لم يأكلك شيء من الدواب . وقيل : يدنا بلا
روح قاله مجاهد . وقيل : نخرجك من ملكك وحيدا^٣ فريدا^٤ . وقيل : نلقيك في البحر من
النجاء ، وهو ما سلخته عن الشاة أو ألقيته عن نفسك من ثياب أو